دور ميناء طرابلس الغرب الاستراتيجي في العصر الإسلامي

د. معمر الهادي القرقوطي
جامعة السابع من أبريل- ليبيا

لا يخفى على الباحثين والمؤرخين أهمية الموقع الجغرافي المتميز، الذي يحظى به ميناء طرابلس بين المشرق والمغرب الإسلاميين، خلال العصر الوسيط. حيث يقع هذا الميناء في شمال غرب ليبياً[1]، وما زاد في أهميته وقوعه في الجهة البحرية المواجهة لدول غرب أوربا فالمسافة بين طرابلس ومالطة والمدن الايطالية (جنوة، بيزا، البندقية) وفرنسا أقصر من المسافة بين الموانيء الليبية الأخرى وتلك الموانيء وقد اكسب هذا الموقع ميناء طرابلس مكانة اقتصادية بارزة في النشاط التجاري على الصعيدين الداخلي، والخارجي، منذ أن تأسست مدينة طرابلس، على يد الفينيقيين، في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد استمرت أهميتها كميناء إلى الآن، وزادت أهميتها بعد الفتح الإسلامي، وذلك عندما نشطت حركة الفتوحات الإسلامية حيث كان ميناء طرابلس من أهم الموانى الليبية، التي استخدمت كمواقع لتجميع وتمويل انطلاق الحملات

(1)- مختار أبو عجيلة العجيل : دور ليبيا في النشاط البحري العربي الإسلامي (طرابلس : مجلة البحوث التاريخية السنة الرابعة عشر العدد الأول 1992م)، ص. 105.

البحرية الإسلامية[1]. فضلا عن نشاط حركة تجارة القوافل مع إفريقيا خلال هذه الفترة حيث يرتبط ميناء طرابلس بأفريقيا بعدد من الطرق التجارية البرية وقد كانت الصلة الوظيفية بين التجارة الصحراوية، والتجارة البحرية من أهم السمات التي لازمتها طوال العصر الوسيط إذ يشير عبد العزيز العلوي إلى أن كل منهما مرتبطاً بالأخر، فيؤثر ويتأثر به سلباً وإيجاباً[2]. وهو ما يجعلنا نؤكد على أهمية ميناء طرابلس باعتباره أحد الأطراف الفاعلة في هذه العلاقة، خاصة وأن هذا الميناء له من المؤهلات الاقتصادية ما يسمح له بالقيام بهذا الدور، فالإقليم المحيط بالميناء غني بإنتاجه الزراعي والصناعي وبثروته الحيوانية، فضلاً على أن الميناء توفرت فيه عدة شروط كالمياه العميقة، والمناخ المناسب.

وفي هذه المشاركة رأيت أن أتناول دور ميناء طرابلس الاستراتيجي في العصر الإسلامي بالتركيز على مجالين مهمين هما العسكري والتجاري :

---

(1)- علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البرية في المغرب – (أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب) القسم الثاني – جامعة الحسن الثاني كلية الأداب والعلوم الإنسانية، 1989م، ص. 261.

(2)- عبد الحفيظ فضل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا (طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية والسنة 2001)، ص. 142.

أولاً : المجال العسكري

إنّ موقع ميناء طرابلس على البحر وسط الطريق المتجه إلى أفريقيا من الشرق إلى الغرب كان له دور بالغ الأهمية قبل وأثناء وبعد مرحلة الفتوحات العربية الإسلامية، فقبل الفترة الإسلامية اختار الفينيقيون موقع المدينة لسببين اثنين :

أولاً/ وجود مينائين من أحسن الموانى في شمال أفريقيا[1]، يمكن استخدامها في وقت واحد، على غرار مدينة صور، وعدد من المدن الفينيقية الأخرى في المتوسط.

ثانياً / الأراضي الخصبة الممتدة في الجنوب والجنوب الشرقي حتى الجبل والاستفادة من هذه المساحة في الزراعة التي تعتمد على مياه الآبار والأمطار، وعند ما سيطر الرومان على إقليم طرابلس سنة 146 ق.م، وازدهرت موانئ هذا الإقليم ومدنه في القرنين الأول والثاني للميلاد وخاصة في عهد الإمبراطور سبتيموس سفيروس (193-211م)[2] وقد أصبح ميناء طرابلس في هذا العصر بالإضافة إلى مينائي لبدة وصبراتة مراكز رئيسية تصلها السلع من أواسط إفريقيا وتعبر عن طريقها إلى روما، وتستقبل بعض البضائع والمصنوعات كالخزف

---

(1)- جون رايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري، (طرابلس : مكتبة الفرجاني، 1993م)، ص. 23.

(2)- أحمد محمد انديشة : التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث (مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان 1993م)، ص.17.

والفخار والزجاج والرخام والأسلحة والمنسوجات القطنية والحريرية[1] وعندما فتح عمرو بن العاص طرابلس **"أصاب بها أحمال بزيوت (زيوت) كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين"**[2] ويبدو أن أحمال الزيتون هذه كانت معدة في الميناء لنقلها إلى بلاد الروم ومن المعروف أن طرابلس وأفريقية قد اشتهرت بإنتاج الزيت منذ القدم.

إنّ أهمية ميناء طرابلس على ساحل الشمال الأفريقي جعل الرومان يهتمون بها اهتماماً كبيراً، فأحاطوا المدينة بسور منيع ماعدا الجهة الشمالية التي تطل على البحر وذلك لتتلقى منها الإمدادات وهو السبب ذاته الذي دفع عمرو بن العاص لفتح طرابلس لتأمين حدود الدولة الإسلامية من خطر الروم ورغبة منه في مواصلة الفتوحات الإسلامية في المغرب وقد تحقق له ما أراد باستيلائه على المدينة ويمكننا أن نحدد بدايات دور ميناء طرابلس العسكري في إفريقيا من انطلاق حملة عبد الله بن أبي السرح عام 27هـ/647م، على أفريقية حينما وصلت سرية عربية إلى ميناء طرابلس واستولت

---

(1)- أحمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان (تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع بيروت : مؤسسة المعارف، 1957م)، ص. 25.

(2)- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير (العصر الإسلامي) ط2 (الاسكندرية : الدار القومية للطباعة والنشر، 1982م)، ص. 70.

على مركب بيزنطي كان راسياً به وأسر المسلمون من فيه ثمّ قتلوهم بأمر من ابن أبي السرح[1].

وهناك رواية مفادها أن عبد الله بن أبي السرح أثناء حملته على إفريقيه طلب من نائبه على مصر عقبة بن عامر الجهيني أن يرسل إليه سفن من الشرق لتحمل غنائم المسلمين[2]، والتقى بها في ميناء طرابلس.

إن مدينة طرابلس بحكم مينائها الجيد كانت مركزا لانطلاق الفتوحات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، فعند تولية رويفع بن ثابت الأنصاري على طرابلس من قبل معاوية بن حديج سنة 46هـ/ 666م، قام بقيادة غزوة في سنة 47هـ/ 667م ضم خلالها جزيرة جربة كما لا يستبعد بعض الباحثين أن يكون لميناء طرابلس دور في نشاط الأسطول العربي في الحوض الغربي للبحر المتوسط في العهد الأموي خصوصاً في حصار القسطنطينية الثاني 99هـ/ 717م[3].

كما أرسل عبيدة بن عبد الرحمن (110-115هـ/ 728-733م) حملة بحرية بقيادة المستنير بن الحجاب الحرشي قوامها مائة وثمانون سفينة يعتقد أنها خرجت من ميناء طرابلس باتّجاه جزيرة صقلية، فأطال حصاره للجزيرة حتى داهمه الوقت وحاول العودة إلى قاعدته التي انطلق

---

(1)- أبوبكر عبد الله بن أبن عبد الله المالكي : رياض النفوس، نشرة حسين مؤنس القاهرة مكتبة النهضة المصرية، 1951م، ص. 17، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص. 87.

(2)- مختار أبوعجيلة العجيل، مرجع سابق، ص. 80.

(3)- كاميللو مانفروني، العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا ترجمة أحمد المهدوي (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس، 1992م)، ص. 24.

منها خلال فصل الشتاء فغرقت معظم سفنه، فلم تبق إلاّ سبع منها، بالإضافة إلى سفينة القيادة، وقد رسوا جميعاً في ميناء طرابلس[1].

وفي العهد العباسي أصبحت مدينة طرابلس مدينة أساسية في ولاية افريقية بحكم أهمية موقع مينائها على البحر المتوسط كنقطة دفاع جعلها تلعب في ذلك الوقت دوراً عسكرياً وسياسياً مهماً وفي هذا الصدد يشير ابن الأثير إلى أن بعض السفن التجارية العربية تعرضت للسطو من قبل الأسطول البيزنطي المتمركز في جزيرة صقلية[2] مما جعل الخليفة العباسي هارون الرشيد يهتم بتحصين مدينة طرابلس من جهة البحر، وقد قام ببناء سورها هرثمة بن أعين[3] والي أفريقية تحسباً لأيّ هجوم بحري بيزنطي من جهة الشمال.

وقد اهتم الفاطميون بالموانيء الليبية مما أدى إلى ازدهار النشاط العسكري والتجاري بها ومن بينها ميناء مدينة طرابلس التي أصبحت في هذه الفترة قاعدة لأسطول صقلية، فقد كانت تتوافد عليه السفن محملة بالغنائم والأموال من ولاة صقلية كان ينفقها نصير الخزان وإلى طرابلس على صيانة الأسطول[4]، ويدفع منها مرتبات جنده، ويكتب للخليفة الفاطمي المعز لدين الله بيانا بذلك.

---

(1)- عز الدين ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ. 2، (بيروت : دار صادر، 1965م)، 25/2.

(2)- ياقوت الحموي : معجم البلدان، ط. 2 (بيروت : دار صادر، 1995م)، 25/4.

(3)- صالح مصطفى مفتاح : ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة، الفاطمية إلى مصر (ليبيا منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م)، ص. 229.

(4)- معجم البلدان، 25/4 ؛ أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك، (ليبيا : الدار العربية للكتاب، 1992م)، ص. 653.

وممّا ساعد على نشاط ميناء طرابلس وازدهاره عسكرياً وتجارياً، الموضع المثالي الجيد الذي يحظى به وقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى ذلك، من بينها معجم البلدان لياقوت الحموي الذي عاش في ق. 3هـ، والمسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري الذي عاش في ق. 5هـ في حديثهما عن طرابلس ومرساها بقولهما "ومرساها مأمون من أكثر الرياح"[1].

إن مدينة طرابلس بحكم مينائها الجيد وموقعها البحري المهم أطمع فيها النورمانديون الذين حاولوا الاستيلاء عليها فقد وجه روجار الثاني ملك النورمان أسطوله العسكري وحاصر طرابلس في ذي الحجة 537هـ/ 25 يونيو 1143م[2]، إلا أنه لم يطل حصار المدينة، حيث قامت قبائل بني هلال بنجدتها وفك الحصار عنها، وعاد بذلك جيش النورمان إلى صقلية بحراً.

لقد حاول روجار الثاني مرة أخرى السيطرة على المدينة والاستحواذ عليها، وذلك سعياً منه للسيطرة على المنفذ التجاري المهم، فشن عليها هجوماً بقيادة جورج الأنطاكي في 6 محرم سنة 541هـ/ 18 يونيو 1146م الذي تمكن من احتلالها[3].

---

(1)- رمضان المبروك خليفة : الجملة النورمانية على طرابلس 541-0553/1146-1158م، طرابلس : مجلة البحوث التاريخية العدد الأول، 2001م، ص. 85.

(2)- عبد الله التيجاني : رحلة التيجاني : تحقيق حسن عبد الوهاب، (ليبيا : الدار العربية للكتاب، 1981م)، ص. 139.

(3)- رحلة التيجاني، ص. 246.

وفي القرن الثامن الهجري نورد شهادة الرحالة عبد الله التيجاني الذي زار طرابلس في هذه الفترة إذ يقول "وبخارج باب البحر منها منظر من أنزه المناظر، مشرف على الساحل حيث مرسي المدينة، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر، وتصطف هناك اصطفاف الجياد في أواديها"[1].

وفي سنة (755هـ-1354م) فكر الأميرال الجنوي فليب دوريا في الهجوم علي طرابلس، فأبحر بأسطوله المكون من خمس عشرة سفينة حربية ورسى بالميناء وأمر جنوده بارتداء زي التجار والانتشار في الأسواق ومزاولة الأعمال التجارية وفي ظلام الليل تسلق جنوده أسوار المدينة واستولوا عليها وجمعوا الأغنام والأموال والأسرى ونقلوها إلى جنوة، وظلت المدينة تحت سيطرة الجنويين لمدة خمس أشهر حتى وصلتها النجدة من السلطان أبي عنان المريني ودفع فديتها 50 ألف قطعة من الذهب[2]. ومع بداية الدولة الحفصية في افريقية، رحب أهالي مدينة طرابلس بهذه الدولة لقرب أصحاب القرار منها، وكان تعيين أول وإلى حفصي بطرابلس سنة 626هـ/ 1228م[3] ومنذ

---

(1)- أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي المعروف بابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت : دار الصادر، 1964م)، ص. 663 ؛ صالح الصادق السباني : ليبيا في العهد الموحدي والدولة الحفصية (الجماهيرية : مركز جهاد الليبية للدراسات التاريخية، 2006م)، ص. 315.

(2)- صالح الصادق السباني، المرجع السابق، ص. 288.

(3)- أي عبد الله محمد بن عليون الطرابلسي : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار تصحيح وتعليق الطاهر الزاوي (الجماهيرية : دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م)، ص. 135.

ذلك التاريخ لم تنفصل نهائياً عن الدولة الحفصية، وإن خفت وتيرة هذه التبعية ابتداء من سنة 865هـ/ 1460م، حيث بدأت الثورات والانتفاضات، وأخذت تتشكل بعض الحكومات المحلية، حتى سقوط غرناطة آخر القواعد الإسلامية بالأندلس 898هـ/ 1492م، حيث اتجه الأسبان بأطماعهم إلى مدن الشمال الأفريقي بحجة مطاردة المسلمين الفارّين من بينهم إلى العديد من المدن المغربية.

اتّجه الأسبان بأنظارهم إلى طرابلس لأنها كانت ((أقوى مركز يتّخذ لمواجهة الخطر العثماني في البحر المتوسط ذلك لكونها مدينة في شرقي الشمال الأفريقي، وأقوى نقطة للدفاع عنه من الهجوم عليه من الشرق، وأقرب نقطة لتمويل ونجدة الجيوش التي تغزو والشرق))[1] ويضيف ابن غلبون بقوله ((فكان مركزها الجغرافي والطمع في الاستيلاء على ثروتها يدفعان الطامعين في الاستيلاء على البلاد الإسلامية))[2].

ثانياً : المجال التجاري

كانت طرابلس من أهم الموانى الأفريقية المطلة على البحر المتوسط خلال العصور الوسطى، وذلك لموقعها الجغرافي المتميز على طرق المواصلات البحرية ولكونها من القواعد التجارية الرئيسية وأهم المحطات البحرية، حيث كانت مرفأ له أهميته في التبادل

---

(1)- نفس المصدر : ص. 136.

(2)-كاملو مانفروني : المرجع السابق، ص. 29.

التجاري وملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا وهي إحدى المحطات المهمة على الطريق التجاري الذي يربط بين الموانى المصرية وأسبانيا[1]، كما أن موقع طرابلس وبيئتها تُأَهِلُ تجارها بأن يكونوا وسطاء تتمّ عن طريقهم الصفقات التجارية حيث كان الميناء يستقبل القوافل القادمة من الصحراء والقادمين عن طريق البحر[2] وفي إحدى الوثائق التي يعود تاريخها إلى سنة 971م، نجد بأن تجارة البندقية كانوا يصدرون الأخشاب والأسلحة والحديد إلى ميناء طرابلس الغرب وتقوم نفس السفن بنقل بضائع وسط أفريقيا من طرابلس إلى ايطاليا[3]، ويتحدث ابن حوقل في صورة الأرض في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عن النشاط التجاري بمدينة طرابلس وميناءها بقوله : "**وهي مدينة بيضاء من الصفر الأبيض على ساحل البحر، خصبة، حصينة ذات ربض صالحة الأسواق... وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع، وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية السود والبيض الثمينة إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءًا، من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم**"[4] ويضيف بأن

---

(1)- جانكلود زليتذر : طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط إفريقيا 1500-1795م، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، (ليبيا الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 2001م)، ص. 23.

(2)-كاميللو ماتعروني، ص. 25، 26.

(3)- ابن حوقل النصيبي : صورة الأرض، (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، 1979م)، ص. 71، 72.

(4)- نفس المصدر، ص. 72.

أهل مدينة طرابلس، إذا قدمت السفن إلى الميناء لإرسائها وواجهت صعوبات في ذلك بسبب الرياح البحرية وشدّة الأمواج فإنهم يتطوعون بقواربهم ومراسيهم وحبالهم لمساعدة تلك المراكب وإرسائها بأقصى سرعة وبدون مقابل ولا كلفة من أحد[1] مما يدل على النفوس الطيبة لدى التجار الطرابلسيين.

وقد أفادت بعض المصادر خلال سنتي 1146-1158م[2]، بتطور العلاقات التجارية بين ميناء طرابلس والمدن الايطالية البحرية مثل جزيرة صقلية وجنوة وبيزا والبندقية وذلك بحصول ميناء طرابلس على امتيازات تجارية خاصة لمزاولة النشاط التجاري مع تجار صقلية وبقية المدن البحرية الإيطالية[3].

وفي فترة تبعية ميناء طرابلس للدولة الموحدية، وقّعت هذه الأخيرة معاهدات مع حكام الدول الأوربية على رأسها بيزا (بيشة) التي وقعت معاهدة مع الدولة الموحدية تدفع بموجبها العشر في مقابل استخدام موانئها، وقد استمروا في مبادلاتهم مع طرابلس مثلما كان لهم مع غيرها من الموانئ في دولة الموحدين[4]، حيث نجد ما يشير إلى

---

(1)- إتورى روسي : ليبيا منذا الفتح حتى سنة 1911م، ترجمة حليفة التليسي، ط. 2 (ليبيا : الدار العربية للكتاب، 1991م)، ص. 154.

(2)-كاميللو مانغروني، مرجع سابق، ص. 36.

(3)-كامللو منفروني : إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة محمد محمد البارودي، (الجماهيرية مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988م)، ص. 32.

(4)- نفس المرجع ؛ صالح الصادق السباني، المرجع السابق، ص. 426.

ذلك في الرسالة التي بعث رئيس بيزا أوبالد إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف الموحدي يطالبه بالتدخل لإنقاذ سفينة لهم من الأسر كانت تحمل قمحاً إلى طرابلس جنحت قبل وصولها إلى الميناء وقام القراصنة بحجزها وأسر بحارتها[1] ومن الواضح أن تجارة ميناء طرابلس مع المدن الإيطالية انتعشت في هذه الفترة لتوجه التجار الإيطاليون من جنوة البندقية وبيزا إلى أسواق طرابلس التي كانت أكثر رواجاً من أسواق المدن الليبية الأخرى مستفيدين من الامتيازات التي منحت لهم، وهذا ما يؤكّده الجغرافي الإدريسي بقوله "**ومدينة طرابلس مدينة حصينة عليها سور، وهي في نحر البحر، بيضاء حسنة الشوارع – متقنة الأسواق وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات**"[2].

وقد ورد في وثائق جنيزة أن السفن العاملة بين الشرق والغرب كانت ترسو بميناء طرابلس كما أفادتنا بأن أربع سفن أبحرت من الإسكندرية إلى طرابلس في يوم واحد[3]، كما أن الرحالة المغربي بن رشيد السبتي زار طرابلس سنة 685هـ/ 1286م قادماً من الإسكندرية مما يدل على وجود علاقات تجارية متينة بين بلاد المغرب وبلاد المشرق، كما سبقت الإشارة إلى زيارة الرحالة التجاني إلى المدينة.

---

(1)- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مجلد 1، (بيروت : عالم الكتب، 1989م)، ص. 279.

(2)- صالح مصطفى مفتاح : مرجع سابق، ص. 230.

(3)- برنشفيك روبار : تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15م، ترجمة حمادى الساحلي (بيروث : دار الغرب الإسلامي، 1988م)، 1/ 204، 205.

وفي سنة 757هـ/ 1356م عقد حاكم طرابلس ابن مكي مع جمهورية البندقية معاهدة تجارية وصلح وأبرم معها معاهدة أخرى سمح لهذه الجمهورية باستغلال ملاحة رأس المخبز (جزيرة فروة) على أن تدفع بموجبها أجور وإتاوات لطرابلس ويحق لحاكم البندقية تعيين قنصل نائباً له في طرابلس[1].

ويبدو أن نشاط الحركة العمرانية في المدينة والتجارة في هذا الميناء استمرت حتى في الفترة اللاحقة قبيل دخول الأسبان حيث يشير الحسن الوزان في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بقوله : "**إن مساكن المدينة فخمة إذا ما قورنت بمساكن تونس وفيها لكل صناعة أو تجارة مكانها الخاص**"[2].

لقد ساهمت طرق القوافل التجارية في ازدهار تجارة هذا الميناء الذي تربطه بباقي المراكز التجارية في بلاد السودان منها :

1- طريق ينطلق من طرابلس حتى غدامس نحو أفريقيا.
2- طريق من طرابلس إلى ودان.
3- الطريق الثالث يمتد من طرابلس ولبده إلى فزان وكوار وبرنو وبحيرة تشاد.

لاشك أنّه من الأسباب التي أدت إلى ازدهار التجارة في ميناء طرابلس ورواجها، وأن الذي جذب التجار إليها من أوروبا والمشرق العربي وآسيا وغيرها ودفعهم إلى التبادل التجاري في المنطقة هو

---

(1)- الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الأفريقي : وصف أفريقيا تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر (بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1983م)، 2/ 97.
(2)- جان كلود زليتز، المرجع السابق، ص. 22.

كثرة البضائع المحلية منها والمستوردة وتنوعها حيث كانت طرابلس بمثابة الميناء البحري الذي تصل عن طريقه صادرات بلاد السودان إلى أوربا من بينها التمر والجلود وريش النعام والعاج والرقيق...وغيرها كانت تصل إلى طرابلس وتونس، حيث ورد ذكر العاج في الواردات الإيطالية خلال القرنين الرابع والخامس عشر، وكان ريش النعام مدوناً في تسعيرة النقل البحري لمدينة بيزا[1] وفي المقابل كانت الصادرات الأوروبية تصل إلى بلدان المغرب وتجد طريقها إلى بلدان جنوب الصحراء، ومن بين تلك السلع النحاس والأسلحة كالدروع والخوذ والسيوف التي تأتي من لمبارديا والأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية وورق بيزا[2] وعطور البندقية والمصنوعات الزجاجية من البندقية أيضاً كما شملت الخيول من الشمال الأفريقي.

ممّا سبق يتضح أن ميناء طرابلس كان يحتل مكانة مهمة في النشاط البحري العربي الإسلامي السلمي والحربي، وما كان يتميز به هذا الميناء من موقع جيد مأمون الجانب من جميع الرياح وأن أهمية هذا الميناء تتضح من خلال استقباله لمراكب الأسطول العربي الإسلامي وبروز دوره في الفتوحات من خلال ربط ساحل بلاد المشرق بالمغرب العربي كما هو معروف بواية وحلقة وصل ويشعرنا بأن حركة التجارة بين أوروبا وأفريقيا ما وراء الصحراء وبين المغرب ودول المشرق قائمة باستمرار دون انقطاع.

---

(1)- جان كلود زليتز، المرجع السابق، ص. 23.

2- المعطيات العامة في هذا التقديم متوفرة على موقع الأنترنت الخاص بـ :
UMR 8167 - Orient et Méditerranée - Labo : Islam médiéval Espaces, réseaux et pratiques culturelles